# سورة الصف

هى مدنية وعدد آيها أربع عشرة ، نزلت بعد التغابن .

ومناسبتها ما قبلها ـ أنها اشتملت على الحث على الجهاد والترغيب فيه ، وفى ذلك تأكيد للنهى الذى تضمنته السورة السابقة من اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين .

روى أحمد بسنده عن عبد الله بن سلام قال . تذاكرنا أيُّكمْ يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله . أى الأعمال أحب إلى الله ؟ فلم يقم منا أحد ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة . ( الصف ) كلها .

---

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَافِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالاَ تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤) .

## شرح المفردات

( لِمَ ) أى لأىّ شئ تقولون قد فعلنا كذا وكذا ، وأنتم لم تفعلوا ؟ والمراد بذلك التأنيب والتوبيخ على صدور هذا الكذب منهم ، كبر : أى عظم ، والمقت : أشد البغض وأعظمه ، ورجل مقيت وممقوت إذا كان يبغضه كل أحد ، والمرصوص :

المحكم، قال المبرد : تقول رصصت البناء إذا لا أمتَ بين أجزائه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة .

## المعنى الجملى

قال ابن عباس : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به ، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لاشك فيه ، وجهاد لأهل معصيته الذين جحدوا الإيمان به ، و إقرار برسالة نبيّه ، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فأنزل الله الآية .

## الإيضاح

( سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم ) أى شهد له بالربوبية والوحدانية والقدرة وغيرها من صفات الكمال جميع ما فى السموات والأرض ، وهو الغالب على أمره ، القاهر فوق عباده ، الحكيم فى تدبير خلقه وَفق ما سنَّه من السنن ، وأرشد إليه من ضروب الهداية .

و بعد أن وصف نفسه بصفات الكمال ذكر ما يلحق المخلوقين من صفات النقص فقال :

( يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون؟ ) أى لأىّ شىء ولأىّ غرض تقولون لودِدنا أن نعمل كذا وكذا من أفعال الخير حتى إذا طلب منكم ذلك كرهتم ولم تفعلوا ؟

والتوبيخ والإنكار موجه إلى عدم فعلهم ما وعدوا به ، وإنما وُجِّه إلى القول لبيان أن معصيتهم مُزْدَوِجة ، وأنهم عملوا جُرْمين . فهم تركوا فعل الخير . وقد وعدوا بفعله .

وبهذه الآية استدل السلف على وجوب الوفاء بالوعد ، وبما ثبت فى السنة من قوله صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث : إذا وعد أخلف ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا اؤتمن خان » .

ثم بين شدة قبح ذلك وأنه بلغ الغاية فى بغض الله له فقال :

( كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ) أى عظم جُرْمًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون .

ذاك أن الوفاء بالوعد دليل على كريم الشيم ، وجميل الخصال ، وبه تكون الثقة بين الجماعات ، فترتبط برباط المودة والمحبة حين يتعامل بعض أفرادها مع بعض ، ويكونون يدا واحدة فيما انتَوَوْا من الأعمال ، والعكس بالعكس ، فإذا فشا فى أمة خلف الوعد قلّت الثقة بين أفرادها ، وانحلت عرا الروابط بينهم وأصبحوا عقدا متناثرا لاينتفع به ، ولا يخشى منهم عدوّ إذا اشتدت الأزمات ، وعظمت الخطوب ، لما يكون بينهم من التواكل ، وعدم ائتمان بعضهم بعضا .

وبعد أن ذمّ المخالفين فى أمر القتال وهم الذين وعدوا ولم يفعلوا ، مدح الذين قاتلوا فى سبيله وبالغوا فيه فقال :

( إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ) أى إن الله يحب الذين يصفُّون أنفسهم حين القتال ولا يكون بينهم فُرَج فيه كأنهم بنيان متلاحم الأجزاء ، كأنه قطعة واحدة قد صُبَّت صبا ، وعلى هـذه الطريقة تسير الجيوش فى العصر الحاضر .

وسر هذا أنهم إذا كانوا كذلك زادت قوتهم المعنوية ، وتنافسوا فى الطعان والنزال ، والكرّ والفرّ ، إلى مافى ذلك من إدخال الرَّوْع والفزع فى نفوس العدو ، إلى ما لحسن النظام من إمضاء العمل بالدقة والإحكام ، ومن ثم أمرنا بتسوية الصفوف فى الصلاة ، وألا يجلس المصلى فى صف خلفى إلا إذا اكتمل مافى الصف

الأمامى ، وهكذا تراعى الأمم فى عصرنا الحاضر النظام فى كل أعمالها ، فى أكلها ونومها ورياضتها وتربية أولادها ، بحيث لايطغى عمل على عمل ، فللجدّ وقت لايعدوه ، وللرياضة وقت آخر ، وللنوم كذلك ، ولهذا لايوجد تواكل ولا تراخٍ فى الأعمال ، ولا تخاذلٌ فيها ، ومن ثم جاء فى الأثر .

« أفضل الأعمال إلى الله أدومها و إن قلّ » .

---

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ ؟ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) :

## شرح المفردات

تؤذوننى : أى تخالفون أمرى بترك القتال ، زاغوا : أى أصرّوا على الزيغ والانحراف عن الحق الذى جاء به موسى عليه السلام ، أزاغ الله قلوبهم : أى صرفها عن قبول الحق ، الفاسقين : أى الخارجين عن الطاعة ومنهاج الصدق المصرّين على الغواية ، وأحمد : من أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال حسان :

صلّى الإله ومن يحفّ بعرشه والطيّبون على المبارك أحمد

## المعنى الجملى

بعد أن أنّب التاركين للقتال الهاربين منه بقوله: « لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ؟» ذكر هنا أن حالهم يشبه حال بنى إسرائيل مع موسى حين ندبهم إلى قتال الجبارين

بقوله: « يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ » فلم يمتثلوا أمره وعصوه أشد العصيان، و« قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا، فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ » وقالوا: « فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ » وأصروا على ذلك وآذوه أشدّ الإيذاء، فوبخهم على ذلك بما جاء فى الآية الكريمة، وقد صرفهم الله عن قبول الحق وألحق بهم الضيم والذل فى الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأنكى.

ومثلهم أيضا فى عصيانهم مثل بنى إسرائيل حين قال لهم عيسى: إنى رسول الله، وجاءهم بالبينات والمعجزات الدالة على صدقه وقال: إنى مبشر برسول سيأتى من بعدى يسمى أحمد، فعصوه وكذبوه ولم يمتثلوا أمره.

## الإيضاح

(وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم؟) أى واذكر لقومك خبر عبده ورسوله موسى بن عمران كليم الله حين قال لقومه: لم تؤذوننى وتخالفون أمرى فتتركوا القتال وأنتم تعلمون صدقى فيما جئتكم به من رسالة ربى؟ وفى هذا تسلية لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من قومه الكافرين ومن غيرهم، وأمر له بالصبر، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «رحمة الله على موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر» كما أن فيه نهيا للمؤمنين أن ينالوا من النبى صلى الله عليه وسلم أو يوصلوا إليه أذى كما جاء فى قوله تعالى: « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا ».

ثم بين عاقبة عصيانهم ومخالفة أمره بقوله:

(فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) أى فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، وأصرّوا على ذلك، صرف الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الحيرة والشك، جزاء

obeikandl.com

وفاقا لما دسّوا به أنفسهم من الذنوب والآثام ، ومخالفة أوامر رسوله ، وانهما كهم فى الطغيان والمعاصى، فران على قلوبهم ، وطمس على أعينهم ، فلم تنظر إلى ماتشاهد من دليل ، ولا تبصر ماترى من برهان كما قال : « وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » .

ثم أكد إزاغته لقلوبهم و بيّن علتها بقوله :

(والله لايهدى القوم الفاسقين) أى والله لايوفق لإصابة الحق مَن اختار الكفر ونبذ طاعة الله ورسوله ، بما يرين على قلبه من الضلالة ، فيحرمه النظر إلى الأدلة التى نصبت فى الكون ، وجعلت منارًا للعقول ، وشفاء للصدور .

( وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدىّ من التوراة ) أى واذكر لقومك ما قال عيسى ابن مريم لقومه : ياقوم إنى مرسَل إليكم من الله، و إنى مصدق بالتوراة و بكتب الله وأنبيائه جميعا من تقدم منهم ومن تأخر .

( ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ) أى وداعيا إلى التصديق بهذ الرسول الكريم الذى جاءت البشارة به فى التوراة ، فقد جاء فى الفصل العشرين من السِّفْر الخامس منها : أقبل الله من سينا ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران ، معه الربوات الأطهار عن يمينه . « سينا مهبط الوحى على موسى ، وساعير مهبط الوحى على عيسى ، وفاران جبال مكة مهبط الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم » .

وفيها فى الفصل الحادى عشر من هذا السفر : ياموسى إنى سأقيم لبنى إسرائيل نبيًّا من إخوتهم مثلك ، أجعل كلامى فى فيه ، و يقول لهم ما آمره به ، والذى لايقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى ، أنا أنتقم منه ومن سبطه .

وكذلك جاء فى الإنجيل ماهو بشارة به — ففى إنجيل يوحنا فى الفصل الخامس عشر . قال يسوع المسيح : إن الفارَقْليط روح الحق الذى يرسله أبى ، يعلمكم كل شىء .

وفيه أيضا : قال المسيح من يحفظ كلمتى يحبنى ، وأبى يحبه ، وعنده يتخذ المنزلة ، كلمتكم بهذا لأنى لست عندكم بمقيم ، والفارقليط روح القدس الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شىء ، وهو يذكركم كل ماقلت لكم ، أستودعكم سلامى ، لاتقلق قلوبكم ولا تجزع ، فإنى منطلق وعائد إليكم ، لو كنتم تحبونى تفرحون بمضيّى إلى الأب .

وفيه أيضا : إن خيرا لكم أن أنطلق لأبى ، لأنى إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط فإذا انطلقت أرسلته إليكم ، فإذا جاء فهو يوبخ العالَم على خطيئته ، وإن لى كلاما كثيرا أريد قوله ، ولكنكم لاتستطيعون حمله ، ولكن إذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل مايأتى ، ويعرفكم جميع ما للأب .

( والفارقليط لفظ يؤذن بالحمد ، فسره بعضهم بالحمّاد و بعضهم بالحامد ، ففى مدلوله إشارة إلى اسمه عليه السلام أحمد ) كما لايخفى على من كشف الله تعالى غشاوة التعصب عن عينيه .

( فلما جاءهم بالبينات قالوا هـذا سحر مبين ) أى فحين جاءهم أحمد المبشَّرُ به بالأدلة الواضحة ، والمعجزات الباهرة ، فاجئوه بالتكذيب والإعراض عنه استكبارا وعنادا وقالوا : إن ماجئت به ماهو إلا ترّهات وأباطيل ، وسحر واضح لاشك فيه .

ونحو الآية قوله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ » الآية .

---

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ؟ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) .

## شرح المفردات

الإسلام : الاستسلام والانقياد والخضوع لله عز وجل ، والمراد من إبطال نور الله بأفواههم إرادتهم إبطال الإسلام ، بنحو قولهم هذا سحر مفترى ، والله متم نوره : أى والله متم الحق ومبلغه غايته ، بالهدى : أى بالقرآن ، ودين الحق : أى بالملة السمحة ، ليظهره : أى ليعليه ، على الدين كله : أى على سائر الأديان .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر فيما سلف أن الجاحدين لنبوته صلى الله عليه وسلم من المشركين وأهل الكتاب لما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مفترى — أردف ذلك ببيان أنهم دعوا إلى الإسلام والخضوع لخالق الخلق ومبدع العالم ، وأقيمت لهم على ذلك الأدلة ونصب لهم المنار ، لكنهم ظلموا أنفسهم وجحدوا النور الواضح ، والبرهان الساطع.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ويُنكر الفمّ طعم الماء من سقم

ثم بين أن السبب فى ذلك هو سوء استعدادهم وتدسيتهم لأنفسهم ، وأن مثلهم فى صد الدعوة عن الدين مثل من يريد إطفاء نور الشمس بالنفخ بفيه ، وأنى له بذلك ؟ فالله متم نوره ، ومكمّل دينه مهما جدَّ المشركون فى إطفائه ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء إلا بما فيه هداية البشر وسعادتهم فى معاشهم ومعادهم ، وبالدين الحق الذى لا تجد العقول مطعنا فيه ، ولا طريقا إلا الاعتراف بما جاء به من حِكَم وأحكام .

# الإيضاح

( ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام ؟ ) أى ومن أشد ظلما وعدوانا ممن اختلق على الله الكذب وجعل له أندادا وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص ؟

وتلخيص المعنى — أىّ الناس أشد ظلما ممن يدعى إلى الإسلام والخضوع ، فلا يجيب الداعى بل يفترى على الله الكذب بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا ؟ والمراد أنه أظلم من كل ظالم ، لأنه قد أهدر عقله ، وركب هواه ، وألقى الأدلة وراءه ظهريا .

ثم بين سبب ظلمهم وفساد عقائدهم فقال :

( والله لا يهدى القوم الظالمين ) أى والله لا يرشد الظالمين لأنفسهم إلى مافيه صلاحهم ورشادهم ، لأنهم دسّوها باجتراح السيئات ، وارتكاب الموبقات ، فختم على قلوبهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، فلا تفهم الأدلة المنصوبة فى الكون ، ولا تهتدى بهدى العقل ، بل تسير فى عماية ، وتمشى فى ظلام دامس لا تلوى على شىء .

ثم ذكر جِدّهم واجتهادهم فى إبطال الدين ، واستهزأ بما اتخذوه من الوسائل فقال:

( يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ) أى إن مثلهم فى مقاومتهم لدعوة الدين ، وجِدّهم فى إخماد نوره — مثل من ينفخ فى الشمس بفيه ليطفئ نورها ، ويحجب ضياءها ، وأنى له ذلك ؟ فما هو إلا كمن يضرب فى حديد بارد ، أو كمن يريد أن يضرم النار فى الرماد ، أو كمن يريد أن يصطاد العَنْقاء .

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاندْ من تطيق له عنادا

( والله متم نوره ولو كره الكافرون ) أى والله معلن الحق ومظهر دينه ، وناصر محمدا عليه الصلاة والسلام على من عاداه ولو كره ذلك الكافرون به .

روى عن ابن عباس « أن الوحى أبطأ أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف : يا معشر يهود أبشروا ، أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه ، وما كان ليتم نوره ، فحزن الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت : يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ » الآية .

ثم بين العلة فى إخماد دعوتهم ، وأنه لاسبيل لقبولها لدى العقول فقال :

( هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) أى هو الله الذى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والملة الحنيفية ، ليعليه على جميع الأديان المخالفة له ، وقد أنجز الله وعده ، فلم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام .

و إنما قال أوّلا : ولو كره الكافرون ، وقال ثانيا ولو كره المشركون ، لأنه ذكر أولا النور و إطفاءه فاللائق به الكفر ، لأنه ستر وتغطية ، وذكر ثانيا الحاسدين للرسول وأكثرهم من قريش ، فناسب ذكر المشركين .

---

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ، فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ، فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)

## شرح المفردات

التجارة هنا : مايقدمه المرء من عمل صالح ، لينال به الثواب كما قال سبحانه : « إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ » طيبة : أى طاهرة مستلذة ، جنات عدن : أى بساتين إقامة وخلود ، قريب : أى عاجل وهو فتح مكة ، وحوارىّ الرجل : صفيه وخليله ، وأنصار الله : أى الناصرون لدينه ، فأيدنا : أى قوّينا وساعدنا ، على عدوهم : أى الكفار ، ظاهرين : أى غالبين .

## المعنى الجملى

بعد أن حث فى الآيات السابقة على الجهاد فى سبيله ، ونهاهم أن يكونوا مثل قوم موسى فى التواكل والتخاذل ، إذ قالوا له : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قاعدون ، ونهاهم أيضا عن أن يكونوا مثل قوم عيسى فى العصيان بعد أن أتى لهم بالأدلة الباهرة على صدق نبوته — ذكر هنا أن الإيمان بالله والجهاد بالمال والنفس فى سبيله تجارة رابحة ، فإن المجاهد ينال الفوز العاجل ، والثواب الآجل ، فيظفر بالنصرة فى الدنيا والغلبة على العدو وأخذ الغنائم وكرائم الأموال ، ويحظى فى الآخرة بغفران الذنب ، ورضوان الرب ، والكرامة فى جنات الخلود والإقامة ، ولا فوز أعظم من هذا .

ثم ضرب لهم مثلا بقوم عيسى فقد انقسموا فرقتين : فرقة آمنت به وهم حواريه ، وفرقة كفرت به وهم البقية الباقية منهم ، فأمد الله المؤمنين بروح من عنده ، فتم لهم الفوز والنصر على الكافرين ، وغلبوهم بإذن الله كما هى سنة الله فى البشر كما قال : « كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى إِنَّ اللهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ » وقال : « إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » .

# الإيضاح

( يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عـذاب أليم ) أى يأيها الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله : ألا أدلكم على صفقة رابحة ، وتجارة نافعة ، تنالون بها الربح العظيم ، والنجح الخالد الباقى .

وهذا أسلوب يفيد التشويق والاهتمام بما يأتى بعده ، كما تقول: هل أدلك على عالم عظيم ذى خلق حسن ، وعلم فياض ؟ هو فلان ، فيكون ذلك أروع فى الخطاب وأجلب لقبوله .

ثم بين هذه التجارة بقوله :

( تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ) أى اثبتوا على إيمانكم ، وأخلصوا لله العمل ، وجاهدوا بالأنفس والأموال فى سبيل الله بنشر دينه ، وإعلاء كلمته .

والجهاد ضروب شتى : جهاد للعدو فى ميدان القتال لنصرة الدين ، وجهاد للنفس بقهرها ومنعها عن شهواتها التى ترديها ، وجهاد بين النفس والخَلْق بترك الطمع فى أموالهم والشفقة عليهم والرحمة بهـــم ، وجهاد فيما بين المرء والدنيا بألا يتكالب على جمع حطامها ، وألا ينفق المـال إلا فيما تجيزه الشرائع ، وتقره العقول السليمة .

( ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ) أى هذا الإيمـان والجهاد خير لكم من كل شىء فى الدنيا من نفس ومال وولد ، إن كنتم من أهل الإدراك والعلم بوجوه المنافع وفهم المقاصد ، فإن الأمور إنمـا تتفاضل بغاياتها ونتائجها .

ولهذه التجارة فوائد عاجلة وأخرى آجلة ، وقد فصـل كلا الأمرين وقدم الثانية فقال :

( يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة

فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ) أى إن فعلتم ذلك فآمنتم بالله وصدقتم رسوله ، وجاهدتم فى سبيله — ستر لكم ذنوبكم ومحاها ، وأدخلكم فراديس جناته وأسكنكم مساكن تطيب لدى النفوس ، وتقرّ بها العيون فى دار الخلد الأبدى ، وهذا منتهى ماتسمو إليه النفوس من الفوز الذى لافوز بعده .

ثم ذكر الفوز العاجل فى الدنيا فقال :

( وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ) أى ولكم على هذا فوز فى الدنيا بنصركم على عدوكم ، وفتحكم للبلاد ، وتمكينكم منها حتى تدين لكم مشارق الأرض ومغاربها .

وقد أنجز الله وعده ، فرفعت الراية الإسلامية على جميع المعمور من العالم فى زمن وجيز لم يعهد التاريخ نظيره ، وامتلكوا بلاد القياصرة والأباطرة ، وساسوا العالم سياسة شهد لهم بفضلها العدو قبل الصديق .

ثم أمرهم بأن يكونوا أنصار الله فى كل حين ، فلايتخاذلوا ولا يتوا كلوا ، فيكتب لهم النصر على أعدائهم كما فعل حواريو عيسى فقال :

( يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ) أى يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، فارفعوا شأن دينه ، وأعلوا كلمته ، كما فعل الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم : من أنصارى إلى الله ؟ قالوا له : نحن أنصار الله وأنصار دينه .

وقصارى ذلك — كونوا أنصار الله فى جميع أعمالكم وأقوالكم ، وأنفسكم وأموالكم ، كما استجاب الحواريون لعيسى .

( فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة ) لما بلّغ عيسى عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه ، ووازره من الحواريين من وازره ، اهتدت طائفة من بنى إسرائيل بما جاءهم به ، وضلت طائفة أخرى إما جحوداً لرسالته ورميه هو وأمه بالعظائم كما فعل اليهود ، وإما بالغلو و إعطائه فوق ما أعطاه الله من مرتبة النبوة ؛

فمن قائل إنه ابن الله ، ومن قائل إنه ثالث ثلاثة ، الأب والابن وروح القدس ، ومن قائل إنه الله .

(فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أى فنصرنا المؤمنين على من عداهم ، وأمددناهم بروح من عندنا على مقتضى سنتنا « والعاقبة للمتقين » فغلبوا أعداءهم وظهروا عليهم كما قال « إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا » فله الحمد على ما أعطى ، والمنة على ما أنعم ، وصل ربنا على محمد وآله .

## ماجاء فى أثناء السورة من موضوعات

(١) اللوم والتعنيف على مخالفة القول للعمل .

(٢) البشارة بمحمد على لسان عيسى .

(٣) محمد صلى الله عليه وسلم أرسل بالهدى والدين الحق .

(٤) التجارة الرابحة عند الله هى الإيمان والجهاد فى سبيله .

(٥) الأمر بنصرة الدين كما نصر الحواريون دينهم .